

الفطرة في القرآن الكريم والعلم الحديث

INSTINCT IN THE NOBLE QUR'AN AND MODERN SCIENCE

Saad Ali Alshahrani	سعد بن علي بن محمد الشهراني (*)
College of Da`wah and Fundamentals - Umm Al Qura University - Saudi.	كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى - السعودية.
samshahrani@uqu.edu.sa	

تاريخ النشر:	تاريخ القبول:	تاريخ الإرسال:
2022/03/17	2022/03/09	2022/01/16

الملخص:

لقد عظم الإسلام أمر الفطرة وأعلى شأنها، حيث وصف الله تعالى في القرآن الكريم الدين بها، وأمر باتباعها وحذر العباد من تغييرها وحديث القرآن الكريم عن هذه المعرفة الفطرية كافٍ شافٍ شامل لحقيقتها وبيان المراد منها، ومن نتائج البحث: - أن في نصوص الكتاب والسنة غنية بالأدلة العقلية اليقينية على أصول الاعتقاد، خلافاً لمن زعم أنها مجرد أدلة سمعية تحتاج إلى براهين خارجية - أن معرفة الله تعالى فطرة خلافاً للمتكلمين الذين يقررون بأنها نظرية - أن الأدلة القرآنية قد جلت المراد بحقيقة الفطرة موضحة لمعناها وجاءت السنة النبوية مكملة لهذا المعنى مؤكدة عليه. - لقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة التي أجريت على فئات مختلفة من الناس في مناطق متعددة في العالم: أن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية.

الكلمات المفتاحية: الفطرة، القرآن، الإيمان.

(*) المؤلف المُرسل.

Abstract:

Islam has glorified the issue of instinct and its highest status, as God Almighty described in the Holy Qur'an the religion with it, commanded to follow it and warned people against changing it. Among the results of the research: - The texts of the Qur'an and Sunnah are rich with certain mental evidence on the principles of belief, in contrast to those who claim that they are merely auditory evidence that needs external proofs. The knowledge of God Almighty is innate, unlike the theologians who state that it is theoretical. - The Qur'anic evidence has clarified what is meant by the truth of instinct, clarifying its meaning, and the Prophetic Sunnah has complemented this meaning, emphasizing it. Recent scientific studies conducted on different groups of people in various regions of the world have proven that the religious instinct is common to all human races.

Keyword: Instinct , the Qur'an , fait.

المقدمة:

الحمد لله فاطر السموات والأرض، فطر عباده على توحيده ومعرفته، وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة لعلهم يشكرون، والصلاة والسلام على من أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، أما بعد:

لقد عظم الإسلام أمر الفطرة وأعلى شأنها، حيث وصف الله تعالى في القرآن الكريم الدين بها، وأمر باتباعها وحذر العباد من تغييرها مبيناً أن اتباعها هو سلوك للدين الذي ارتضاه الله وجعل مستقيماً قيماً لجميع ما يحتاجه البشر في أمر دينهم ودنياهم، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَوِيمُ وَلَكِن بَئِ كَثَرَتِ النَّاسُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الرؤم: 30].

ومن تعظيم الإسلام للفطرة أنه جعلها الأساس السابق لأي دليل شرعي أو عقلي. فرسالة الرسل -عليهم الصلاة والسلام- وشرائعهم مكملة للفطرة ومذكرة بها، وهذا ما بينه الله ﷻ في كتابه الكريم في مواضع عدة، منها قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: 21]، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37].

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله في هذا المعنى: «الرسول إنما تأتي بتذكير الفطرة ما هو معلوم لها، وتقويته وإمداده، ونفي المغير للفطرة، فالرسول بعثوا بتقرير الفطرة وتكميلها، لا بتغيير الفطرة وتحوليلها، والكمال يحصل بالفطرة المكملة بالشرعة المنزلة»⁽¹⁾.

إن معرفة الله تعالى فطرية، والمراد بهذا أن كل إنسان يولد على صفة تقتضي إقراره بأن له خالقًا مدبرًا، وتستوجب معرفته إياه، وتألهه له.

وهذه الصفة ذاتها هي القوة المغروزة في الإنسان، التي تقتضي اعتقاده للحق دون الباطل، وإرادته للنافع دون الضار، وإذا كان قد علم بالبراهين اليقينية القاطعة، أن وجود الخالق هو أعظم الحقائق، وأن معرفته والتأله له أعظم المنافع، فإنه يتعين بذلك أن يكون في الفطرة ما يقتضيه معرفة الصانع والإيمان به⁽²⁾.

والقرآن الكريم كلام رب العالمين يجلي هذه الحقيقة ويقررهما بأبدع البيان، وأوضح البرهان.

غير أنه مما يؤسف له إعراض بعض المسلمين عن هذه الحقائق الربانية، وإنكارهم لهذه المعرفة الفطرية.

فجماهير المتكلمين على اختلاف طوائفهم يقررون أن معرفة الله نظرية، وأنها إنما تدرك بالنظر والاستدلال، ويجعلون الطريق إلى معرفته تعالى النظر، فأوجبوه على كل مكلف وجعلوا لهذا النظر طرقًا وأدلة كلامية وفلسفية صعبت على نظائرهم فضلًا عن عامة المسلمين.

وقولهم يتناقض مع القول بفطرية معرفة الله، لأن المعارف الفطرية لا تحتاج إلى نظر واستدلال، وإنما تكون معلومة بالبداهة والفطرة.

إن حديث القرآن الكريم عن هذه المعرفة الفطرية كافٍ شافٍ شامل لحقيقتها وبيان المراد منها.

ولو رجعنا للقرآن الكريم بفهم سلفنا الصالح لوجدنا فيه غنية عن المناهج والمدارس الكلامية والفلسفية التي أشغلت المسلمين بمسائل لا تبني اليقين والإيمان بل تؤسس للشك والحيرة والاضطراب، ومما يؤسف له أن هذه المسائل والدلائل البدعية لا تزال تشغل حيزًا في مناهجنا التعليمية معرضة عن المنهج القرآني الرباني ذلكم الوحي المعصوم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ولقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة التي أجريت على فئات مختلفة من الناس في مناطق متعددة وبواسطة علماء من جامعات أكاديمية مشهورة: (أن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية، حتى أشدها همجية وأقربها إلى الحياة الحيوانية، وأن الاهتمام بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة هي إحدى النزعات العالمية الخالدة).

وقد سبقهم القرآن العظيم بتقرير هذه الحقيقة التي لا ينازع فيها إلا مكابرا!

والله تعالى أسأل أن يجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء همومنا وهادينا إلى الصراط المستقيم.

المطلب الأول: الفطرة في لغة العرب

الفطرة في لغة العرب تطلق على معانٍ متعدّدة تدور حول: الشق، والخلقة، والابتداء، والاختراع، والقبول.

وشواهد هذه المعاني متوافرة في معاجم اللغة العربية⁽³⁾، وكتب غريب القرآن والحديث⁽⁴⁾.

كما يشهد لبعض معان الفطرة آيات كثيرة في القرآن الكريم.

فالفطرة بمعنى الشق، مثل قوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ [الشورى:5].

والفطرة بمعنى الابتداء والاختراع والخلق، مثل قوله تعالى: ﴿أَلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر:1].

وجاءت أيضاً بمعنى القبول في قوله تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل:18]، فقوله: ﴿مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ إشارة إلى قبولها ما اقتضاه خلقه وإبداعه لها⁽⁵⁾.

أما كلمة "فطرة" على وزن "فِعْلَة" فلم ترد في القرآن الكريم إلا مرة واحدة في سورة الروم في قوله تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ إِلَهِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم:3].

ويذكر المطهري⁽⁶⁾ إلى أن أحدًا لم يستعمل هذه الكلمة قبل ورودها في القرآن، واستدلّ بحادثة ابن عباس { مع الأعرابيان وفيه: "أنا فطرتها"، وذلك أن ابن عباس وهو حبر الأمة وهو العربي القرشي لم يعرف معنى هذه الكلمة من قبل سماع الأعرابي، فدلّ ذلك على أن هذه الكلمة لم يسبق لها أن استعملت قبل القرآن الكريم، ويمكن الاعتراض عليه بقول عنتره: وسيفي كالعقيقة وهو كمعي ❁ سلاحي لا أفلّ ولا فطار⁽⁷⁾

المطلب الثاني: أقوال علماء أهل السنة والجماعة في معنى الفطرة

تعددت أقوال العلماء في بيان معنى الفطرة، وسأجمل ذكر أبرز هذه الأقوال دون ذكر أدلتها ومناقشتها طلبًا للاختصار.

القول الأول: أنّ الفطرة هي الخلقة التي خلق عليها المولود من المعرفة بربه إذا بلغ مبلغ المعرفة، وهي السلامة من المعرفة والإنكار أو الكفر والإيمان.

وأبرز من نصر هذا القول ابن عبد البر⁽⁸⁾، وبه قال ابن الأثير⁽⁹⁾، وتقي الدين السبكي⁽¹⁰⁾، وغيرهم من العلماء.

القول الثاني: الفطرة هي البداية التي ابتدأ الله الخلق عليها من الحياة والموت والشقاء والسعادة، وكل ما سبق في علم الله مما يصيرون إليه عند البلوغ أو عند العاقبة⁽¹¹⁾.

وممن قال بذلك من السلف: عبدالله بن المبارك⁽¹²⁾، والإمام أحمد في إحدى الروايات عنه⁽¹³⁾.

القول الثالث: بأن الفطرة هي ما فطر الله عليه بني آدم من الإنكار والمعرفة والكفر والإيمان، وذلك حين أخذ من ذرية آدم الميثاق.

وممن قال به: إسحاق بن راهويه، وصححه الأزهري⁽¹⁴⁾.

القول الرابع: القول بأن الفطرة هي الميثاق، الذي أخذه الله تعالى من ذرية آدم قبل أن يخرجوا إلى الدنيا، فأقروا له جميعًا بالربوبية.

ونسب هذا القول إلى الأوزاعي، وحماة بن سلمة، وحماة بن زيد، وغيرهم⁽¹⁵⁾.

وقد ذكر ابن عبد البر أن أصحاب هذا القول يفسرون الفطرة بمجموع أمرين: أخذ الميثاق يوم استخراج ذرية آدم من ظهره، ثم إخراجهم من أصلاب آبائهم مخلوقين مطبوعين على معرفة الله والإقرار بربوبيته، وحينئذ يكون هذا عين مذهب السلف، لا قولاً مستقلاً، كما ذكره أثناء عرض الأقوال في الفطرة⁽¹⁶⁾.

القول الخامس: وهو أن المراد بالفطرة: الإسلام.

وهذا الذي عليه أكثر الصحابة والتابعين، وغيره من علماء السلف، ومنهم:

معاذ بن جبل، وعمر بن الخطاب، وأبي هريرة، وابن عباس، والقاضي شريح، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك، والحسن البصري، والباقر، وقتادة، وابن شهاب، وجعفر الصادق، والأوزاعي، وحماد بن زيد⁽¹⁷⁾، وأحمد بن حنبل، والبخاري⁽¹⁸⁾، وابن جرير، وأبو بكر الخلال، وأصحاب أبي حنيفة، وابن حزم⁽¹⁹⁾، والبيهقي⁽²⁰⁾، وابن تيمية⁽²¹⁾، وابن القيم⁽²²⁾، وابن كثير⁽²³⁾، وابن حجر⁽²⁴⁾، والشوكاني⁽²⁵⁾، وغيرهم.

قال ابن عبد البر: خلق الطفل سليماً من الكفر مؤمناً مسلماً، على الميثاق الذي أخذه الله على ذرية آدم حين أخرجهم من صلبه وأشهدهم على أنفسهم⁽²⁶⁾.

وهذه الخلقة على الإسلام والتوحيد هي الفطرة بمعناها الشرعي، ولهذا فسرناها أئمة السلف بالإسلام، قال ابن عبد البر: هو المعروف عند عامة السلف من أهل العلم بالتأويل، وقد أجمعوا في قول الله عز وجل: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ إِلَهِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: 3] على أن قالوا: فطرة الله دين الإسلام... وذكرنا عن عكرمة ومجاهد والحسن وإبراهيم والضحاك وقتادة في قول الله عز وجل: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ إِلَهِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: 3] قالوا: دين الله الإسلام⁽²⁷⁾.

وقال ابن حجر: الآثار المنقولة عن السلف تدل على أنهم لم يفهموا من لفظ الفطرة إلا الإسلام⁽²⁸⁾.

ولهذا قال البخاري: الفطرة: الإسلام. قال ابن حجر: جزم المصنف بأن الفطرة الإسلام⁽²⁹⁾.

وجزم به أيضاً كثير من الأئمة، كالطبري والبيهقي وأبي العباس القرطبي وابن تيمية وابن القيم وابن كثير وابن رجب وابن أبي العز الحنفي وابن حجر والشوكاني وغيرهم⁽³⁰⁾.

ولابد من تقرير أنه ليس المراد بقول السلف: ولد المولود على فطرة الإسلام: أنه حين خرج من بطن أمه يعلم هذا الدين ويريده، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [النحل: 78]، ولكن فطرته مقتضية موجبة لدين الإسلام، لمعرفته ومحبته.

فنفس فطرة المولود تستلزم الإقرار بالخالق ومحبته وإخلاص الدين له، وموجبات الفطرة ومقتضياته تحصل شيئاً بعد شيء بحسب كمال الفطرة إذا سلمت من المعارض⁽³¹⁾.

وذهب ابن تيمية وابن القيم إلى أن المراد بالفطرة على الإسلام خلق الطفل على معرفة الحق وإرادته بالقوة لا بالفعل، فكما يولد وفيه قوة النطق والعقل والفعل والمعرفة والإرادة حتى إذا قدر نطق بالفعل وعقل وفعل وعرف ما يلائمه من الأغذية والأشربة والمنافع وطلبه بمقتضى طبيعه إلا لمانع من مرض ونحوه، فإنه كذلك يولد وفيه قوة معرفة الحق وإرادته، ثم تنمو فطرته بنموه حتى يعرف الإسلام ويريده بالفعل، ويطلبه ويؤثره بمقتضى طبيعه وجبلته بحيث لو سلم المانع والمعارض وخلي وفطرته لكان بمقتضاها عارفاً بربه، موحداً له محباً له، ولا يحتاج في معرفة ربه ومحبته لسبب من خارج فطرته إلا في التذكير بما أودعه الله فيها من الحق أو تفصيله وتقويته وتكميله.

قال ابن القيم: المعرفة والمحبة لا يشترط فيهما وجود شخص منفصل وإن كان وجوده قد يذكر ويحرك، كما إذا خوطب الجائع بوصف الطعام والمغتلم بوصف النساء، فإن هذا مما يذكر ويحرك لكن لا يشترط ذلك لوجود الشهوة، فكذلك الأسباب الخارجة لا يتوقف عليها وجود ما في الفطرة من الشعور بالخالق والذل له ومحبته وإن كان ذلك مذكراً ومحركاً ومزيلاً للمعارض المانع⁽³²⁾.

ومما يؤكد أن الله تعالى فطر عباده على توحيده ومعرفته قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: 21]، وقوله ﷺ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37].

قال ابن القيم: هذا كثير في القرآن يخبر أن كتابه ورسوله مذكر لهم بما هو مركوز في فطرتهم من معرفته ومحبهه وتعظيمه وإجلاله والخضوع له والإخلاص له، ومحبة شرعه الذي هو العدل والمحض، وإيثاره على ما سواه⁽³³⁾.

وستتضح أدلة رجحان هذا القول في بيان معنى الفطرة من خلال الأدلة التالية.

المطلب الثالث: حقيقة الفطرة من خلال الأدلة القرآنية

تقرر كثير من الأدلة الشرعية حقيقة معنى الفطرة وسأذكر أبرز وأجلى هذه الأدلة مركزاً على أدلة القرآن الكريم:
أولاً:

قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَوِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الرؤم: 30].

وهذه الآية الكريمة تبين بكل مفرداتها على أن مقتضى الفطرة التي أمر الله تعالى بإقامة الوجه لها ولزومها هي الدين الحنيف الإسلام، وأن خلق الناس على هذا المقتضى سنة مطردة لا تتبدل ولا تتغير.

وسأذكر فيما يلي تفسير مفردات هذه الآية الكريمة.

*قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: «فسدد وجهك واستمر على الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية ملة إبراهيم الذي هداك لها وكملها له غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره»⁽³⁴⁾.

*قوله: ﴿لِلدِّينِ﴾: المقصود به دينٌ معيّن فال فيه للعهد، وهو دين الإسلام⁽³⁵⁾.

*قوله: ﴿حَنِيفاً﴾: الحنف هو الميل، «وغلب استعمال هذا الوصف في الميل عن الباطل أي العدول عنه بالتوجه إلى الحق، أي عادلاً ومنقطعاً عن الشرك، كقوله تعالى: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةٌ بَرَّاهُمْ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: 135]»⁽³⁶⁾.

ومن الآيات التي تشهد أن الحنيفية هي الإسلام قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء: 125]، وقوله: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام: 79]، وقوله: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام: 161].

ومن الأحاديث الدالة على ذلك أيضًا قوله ﷺ: ((بعثت بالحنيفية السمحة))⁽³⁷⁾.

*قوله: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ﴾ أي: إن إقامة الوجه للدين حنيفًا هو فطرة الله التي فطر الناس عليها، وذلك مأمور باتباعه إما صراحةً وإما تلميحًا، لأنها جاءت مضافة إلى الله إضافة مدح لا إضافة ذم، وفي هذا ما فيه من تشريفها وتوكيد تمامها وكمالها وتمام الدين المعبر بها عنه وكمالها، وقد أمر نبيه بلزومها فعلم أنها الإسلام⁽³⁸⁾.

وقد جاء التنزيل بنحو هذا في قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ﴾ [البقرة: 138]، قال مجاهد: «فطرة الله»⁽³⁹⁾.

*قوله: ﴿فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْنَا﴾: بيان لمعنى الإضافة في قوله: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ﴾، وتصريح بأن الله خلق الناس سالمة عقولهم مما ينافي الفطرة، وكون الإسلام هو الفطرة وملازمة أحكامه لمقتضيات الفطرة صفة اختص بها الإسلام من بين سائر الأديان في تفاريعه أما أصوله فاشتركت فيها الأديان الإلهية⁽⁴⁰⁾.

وقد ذكر ابن عبد البر إجماع أهل التأويل من السلف على أن المراد بـ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ﴾ في الآية دين الإسلام⁽⁴¹⁾.

*قوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾: ذكر ابن كثير في تفسيره قولين هما:

1. أنه خبر بمعنى الطلب، ومعناه: لا تبدلوا خلق الله بإفساد الفطرة، فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها.
2. أنه خبر على بابيه، ومعناه: أن الله تعالى ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبلية المستقيمة، فلا يولد أحد إلا على ذلك، ولا تفاوت بين الناس في ذلك⁽⁴²⁾.

ولهذا قال ابن عباس، وإبراهيم النخعي، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، وابن زيد، في قوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ أي لدين الله⁽⁴³⁾.

وقال البخاري: «قوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾: لدين الله، ﴿خُلِقَ الْأَوَّلِينَ﴾: دين الأولين. والفطرة الإسلام»⁽⁴⁴⁾.

ولا تعارض بين القول بأن اللام في قوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ﴾ للنفي أو للنهي، فالنفي صحيح فلا يولد مولود إلا وهو على الفطرة لا يستطيع أحد أن يبدل ذلك، فيجعل بعضهم يولد على الفطرة، وبعضهم يولد على غير الفطرة، والنهي أيضاً صحيح فمعناه: لا تُغيروا ولا تبدلوا دين الله وفطرته التي فطر الله الناس عليها.

*قوله: ﴿ذَلِكَ الْدِينُ الْقَيِّمُ﴾: اسم إشارة هنا يدل على زيادة تمييز هذا الدين مع تعظيمه كالإشارة في قوله: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: 2]، والقيّم يعني: المستقيم الذي لا عوج فيه عن الاستقامة من الحنيفية إلى اليهودية والنصرانية، وغير ذلك من الضلالات والبدع المحدثه⁽⁴⁵⁾.

وهذا يظهر أن الفطرة في الآية تقتضي التوحيد، ولو أن الله قد خلق الناس خلقه قد تقتضي التوحيد، وقد لا تقتضيه لم يأمر بلزوم مقتضاها بإطلاق. فدلّ على أن الفطرة لا بدّ أن تقتضي التوحيد، وأن ذلك سنة لا يمكن أن تتبدل، وهذا مطابق للعموم في حديث الفطرة في قول النبي ﷺ: ((كل مولود يولد على الفطرة)).

ولذا أخبر تعالى أن الاستقامة على الدين الحنيف الذي هو مقتضى الفطرة هو الدين القيم. فلا يكون تحقيق التوحيد والدين القيم إلا بتحقيق مقتضى الفطرة⁽⁴⁶⁾.

ثانياً:

آية الإشهاد وهي قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف:

[173-172].

وهذه الآية آية مشكلة كما قال القرطبي⁽⁴⁷⁾ وأبو المظفر السمعاني⁽⁴⁸⁾ والكلام في تفسيرها مرتبط بالروايات الواردة في الميثاق من حيث حقيقته وأقوال أهل العلم فيه⁽⁴⁹⁾.

وقد اختلف أهل العلم في حقيقة استخراج ذرية آدم من صلبه إلى عدة أقوال:

*القول الأول: أن الله تعالى لما خلق آدم ﷺ مسح على ظهره، فأخرج منه ذريته كأمثال الذر، فئة بيضاء نقية، وأخرى سوداء كالحمم، وهذا الإخراج كان لجميع الذرية، وجعل لهم عقولاً يعقلون بها ما يعرض عليهم، ثم كلمهم الباري تعالى عياناً، وأخذ عليهم العهد والميثاق بأنه ربهم المعبود، الذي لا إله غيره، وأنهم عبيده المربوبون، فأقروا بذلك، ووقعت الشهادة عليهم بذلك، قال تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ الآية [الأعراف: 172]. حيث كان إقرارهم له ﷻ بلسان المقال.

وهذا هو مذهب جمهور الصحابة والتابعين وجمهور المفسرين، وعامة أهل الأثر والحديث، والصوفية.

وممن قال بذلك من الصحابة رضي الله عنهم: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وأبو سريحة الغفاري، وعبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وذو اللحية الكلابي، وعمران بن حصين، وأم المؤمنين عائشة، وأنس بن مالك، وسراقة بن جعشم، وأبو موسى الأشعري، وعبادة بن الصامت، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت، وجابر بن عبدالله، وأبو ذر الغفاري، ومعاذ بن جبل، وهشام بن حكيم، وأبو عبدالله -رجل من الأنصار-، وعبدالله بن سلام، وسلمان الفارسي، وأبو الدرداء، وعمرو بن العاص، وعبدالله بن الزبير، وأبو أمامة الباهلي، وأبو الطفيل، وعبدالرحمن بن عوف -رضي الله تعالى عنهم أجمعين-.

وأما من بعدهم فمنهم: محمد بن كعب، والضحاك بن مزاحم، والحسن البصري، وقتادة، وسعيد بن جبير والسدي، والكلبي، وسعيد بن المسيب، وعكرمة، والطبري، والقرطبي، وفاطمة بنت الحسين، وأبو جعفر الباقر، وأبو حنيفة، والطحاوي، وابن الأنباري، وأبو جعفر النحاس، وابن الجوزي، وابن رشد، والألوسي، والشوكاني، والقنوجي، وملا علي

قاري، والمغنيساوي، والخازن، وابن المنير، والشعالبي، وابن الوزير، وغيرهم كثير⁽⁵⁰⁾ -رحمهم الله تعالى أجمعين- .

وأدلة هذا القول كثيرة جداً، حتى قال عنها ابن القيم رحمه الله: «الآثار في إخراج الذرية من ظهر آدم، وحصولهم في القبضتين، كثيرة لا سبيل إلى ردها وإنكارها، ويكفي وصولها إلى التابعين، فكيف بالصحابة؟ ومثلها لا يقال بالرأي والتخمين»⁽⁵¹⁾ .

وقد حكم بعض أهل العلم على هذه الروايات بالتواتر ومنهم:

المقبلي القائل: «ولا يبعد دعوى التواتر المعنوي في الأحاديث والروايات الواردة في ذلك»⁽⁵²⁾ .

وقال ابن عطية: «وتواترت الأحاديث في تفسير هذه الآية عن النبي صلى الله عليه وسلم»⁽⁵³⁾ .

وقال الألباني: «وجملة القول أن الحديث صحيح، بل هو متواتر المعنى»⁽⁵⁴⁾ .

وقال ابن رشد: غير مستنكر في لطيف قدرة الله تعالى أن يحييهم حينئذٍ، ويجعل لهم مع كونهم أمثال الذر عقولاً يعقلون بها خطابه، ويعلمون بها أنه ربهم وخالقهم، ويطلق ألسنتهم بالإقرار له بذلك⁽⁵⁵⁾ .

ومن الأدلة التي استشهدوا بها في إثبات وقوع هذا الاستخراج إضافة إلى الأحاديث الواردة في بيان معنى الآية ما يلي:

(1) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ۚ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا ۖ﴾ [الأحزاب: 7] .

قال مجاهد: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾ أي في ظهر آدم عليه السلام⁽⁵⁶⁾ . وقال ابن كثير: «وقيل المراد بهذا الميثاق الذي أخذ منهم حين أخرجوا في صورة الذر من صلب آدم عليه السلام»⁽⁵⁷⁾ .

(2) قوله تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ۚ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ۖ﴾ [الأعراف: 102] .

قال أبي بن كعب ومجاهد في تفسير هذه الآية: عهده الذي أخذه من بني آدم في ظهر آدم ولم يفوا به ⁽⁵⁸⁾.

(3) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَكِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأعراف: 11].

قال القرطبي: «وقيل المعنى: خلقناكم في ظهر آدم ثم صورناكم حيث أخذنا عليكم الميثاق هذا قول مجاهد رواه عنه ابن جريج وابن أبي نجيج. قال النحاس: وهذا أحسن الأقوال "ثم ذكر قول مجاهد" ⁽⁵⁹⁾.

وقال بهذا أيضاً: قتادة، والربيع، والضحاك ⁽⁶⁰⁾.

(4) قوله تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: 83].

فإنهم فسّروا إسلام الخلق كلهم بذلك، وقالوا: إن الله تعالى لما قال لهم: "أست بركم" قالوا كلهم "بلى" فأما أهل السعادة، فقالوا عن معرفة له طوعاً، وأما أهل الشقاوة فقالوه كرهاً ⁽⁶¹⁾.

*القول الثاني: هو ما ذهب إليه بعض المفسرين ونصره -منهم خاصة- المنتسبون إلى التفسير بالرأي، وهو أن لا إخراج، ولا قول، ولا شهادة بالفعل، وإنما ذلك كله على سبيل المجاز، أو التمثيل، فيكون المراد بأخذ الميثاق أحد أمرين:

(أ) ما فطرهم الله تعالى عليه من التوحيد، كما قال تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ إِلَهِي فَطَرَتِ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: 30]. وكما قال ﷺ: ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة ...)) الحديث.

وقوله ﷺ: ((خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم)).

وقال بهذا القول طائفة من علماء السلف، كشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، وابن أبي العز الحنفي، والسعدي، وغيرهم -رحمهم الله تعالى أجمعين-.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «وهذا الأخذ المعلوم المشهود الذي لا ريب فيه، هو أخذ المني من أصلاب الآباء ونزوله في أرحام الأمهات ... فهو يقول: اذكر حين أخذوا من

أصلاّب الآباء فخلقوا حين ولدوا على الفطرة مقرّين بالخالق شاهدين على أنفسهم بأن الله ربهم، فهذا الإقرار حجة الله عليهم يوم القيامة، فهو يذكر أخذه لهم، وإشهادهم إياهم على أنفسهم، إذ كان سبحانه خلق فسوى، وقدر فهدى.

فالأخذ يتضمن خلقهم، والإشهاد يتضمن هداه لهم إلى هذا الإقرار»⁽⁶²⁾.

ب (أن المراد من أخذ الميثاق الأخذ من ظهور بني آدم على الترتيب الذي مضت به السنة، من لدن آدم إلى فناء العالم، ونصب الأدلة لهم في أنفسهم أو في الكون.

ومعنى ذلك أن الله ﷻ نصب هذه الدلائل، وأظهرها للعقول، لئلا يقولوا إنما أشركنا على سبيل التقليد لأبائنا، لأن نصب أدلة التوحيد قائم معهم، فلا عذر لهم في الإعراض عنه، والإقبال على تقليد الآباء في الشرك.

قال الرازي حاكياً هذا القول: « أخرج الذرية -وهم الأولاد- من أصلاّب آبائهم وذلك الإخراج: بأنهم كانوا نطفة، فأخرجها الله تعالى في أرحام الأمهات، وجعلها علقة، ثم مضغة ثم جعلها بشراً سوياً، وخلقاً كاملاً، ثم أشهدهم على أنفسهم، بما ركب فيهم من دلائل وحدانيته، وعجائب خلقه، وغرائب صنعه، فبالإشهاد صاروا كأنهم قالوا: بلى، وإن لم يكن هناك قول باللسان، ولذلك نظائر منها:

قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصلت: 11]⁽⁶³⁾. وهذا

النوع من المجاز والاستعارة مشهور في كلام العرب. فحين شهدت بهذه الأدلة عقولهم وبصائرهم صاروا بمنزلة من قيل لهم: ألسن بركم؟ قالوا: بلى. وهذه الشهادة منهم بالحوال لا بالمقال. قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ ﴾ [التوبة: 17]. وعلى هذا القول يكون معنى الآية الكريمة: وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم، ويشهدهم على أنفسهم بما ركب فيهم من العقل الذي يكون به الفهم والتكليف، الذي به يترتب على صاحبه الثواب والعقاب يوم القيامة⁽⁶⁴⁾.

وهذا القول هو مذهب المعتزلة كالزمخشري والقاضي عبد الجبار، ومن وافقهم من المفسرين كأبي السعود والزجاج وأبي حيان والنسفي وغيرهم.

وكلا الأمرين -الفطرة أو نصب الأدلة- يشتركان في إنكار والإخراج من ظهر آدم والإشهاد بلسان المقال.

وقد انتقد الشيخ الألباني ابن كثير وابن القيم في قولهما بهذا القول ووصفهما بأنهما شابهوا المعطلة والمبتدعة في تأويل هذه الآية، وردّهم للأحاديث الواردة في الميثاق⁽⁶⁵⁾.

ويمكن الجواب عن كلام الشيخ الألباني بأجوبة منها:

(1) أن ابن القيم وابن كثير لم يردا الحديث، بل ذكروا عدم صحته بنقد سنده ولم يخرجوا في ذلك عما قرره علماء الحديث في منهج النقد وعدم ثبوت الحديث كاف في رده. فهو لم يصح عندهما ومثل هذا لا يقال أنه رد للحديث.

(2) أنهما لم يؤولا الآية تأويلاً لا تحتمله وإنما ذكروا معنى تحتمله الآية.

(3) ابن القيم وابن كثير لم ينفردا بهذا الفهم وإنما قد سبقهما غيرهما ومن أشهرهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله والذي قد تقدم نقل بعض كلامه في الآية. ولعل الشيخ الألباني لم يقف عليه.

(4) أن موافقة بعض المبتدعة في بعض آرائهم لا يعني موافقتهم في بدعهم إذ أن أصل عقائدهم عقائد إسلامية فليس غريباً أن تكون هناك موافقات بين ما ذهبوا إليه وما ذهب إليه علماء السلف، إذ الالتقاء في الجزئيات لا يعني الاتفاق في الكليات، كما أنه ليس كل ما يقول به المبتدعة يلزمنا أن نخالفه إلا إذا اتضح بطلانه بالدليل⁽⁶⁶⁾.

وبتأمل أقوال العلماء في آية الميثاق سواء الذين قالوا بإخراج الذرية وتحقيق الإشهاد بلسان المقال أو الذين أنكروا ذلك وقالوا: إنه بلسان الحال، نجد أنهم متفقون على دلالة الآية على فطرية التوحيد.

ووجه دلالة الآية على فطرية التوحيد وأن المعرفة به ضرورة أن الله تعالى قد أخبر بأنه قد أشهد جميع بني آدم على أنفسهم أنه هو ربهم، وأنهم قد أقرروا وشهدوا جميعاً على أنفسهم بذلك، كما أخبر تعالى أن هذا الإشهاد حجة على الناس جميعاً، فلا يمكن لأحد يوم القيامة أن يعتذر بالجهل بالتوحيد، وأنه لم تبلغه فيه حجة، لأن الحجة فيه قد قامت على

كل أحد بذلك الإشهاد، وأنه لا يمكن لأحد تبعًا لذلك أن يعتذر إذا كان قد وقع في الشرك بمتابعة الآباء عليه، لأن عنده من العلم بالتوحيد وبطلان ما عليه الآباء من الشرك ما يدفع به ذلك، بحيث لا يقع في الشرك إلا بإرادته واختياره، مع العلم ببطلان الشرك، لا لمجرد متابعة الآباء عليه.

ويلزم من ذلك أن يكون العلم بتوحيد الله تعالى من المعارف الضرورية التي لا يحتاج أحد أن يتعلمها، بل يكون ذلك الإشهاد على التوحيد وإقراره به كافيًا في العلم به وعدم الوقوع في الشرك⁽⁶⁷⁾.

وفي بيان وجه دلالة الآية على فطرية التوحيد وكونه من العلوم الضرورية يقول الإمام ابن تيمية: «... هذا الإشهاد من لوازم الإنسان، فكل إنسان قد جعله الله مقرًا بربوبيته، شاهدًا على نفسه بأنه مخلوق والله خالقه، ولهذا جميع بني آدم مقرون بهذا شاهدون به على أنفسهم، وهذا أمر ضروري لهم لا ينفك عنه مخلوق، وهذا مما خلقوا عليه وجبلوا عليه، وجعل علمًا ضروريًا لهم لا يمكن أحدًا جحده.

ثم قال بعد ذلك: (أن تقولوا) أي: كراهة أن تقولوا، ولئلا تقولوا: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ عن الإقرار لله بالربوبية، وعلى أنفسنا بالعبودية، فإنهم ما كانوا غافلين عن هذا، بل كان هذا من العلوم الضرورية اللازمة لهم التي لم يخل منها بشر قط.

... وقوله: ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ وهم آبائنا المشركون، وتعاقبنا بذنوب غيرنا؟ وذلك لأنه لو قدر أنهم لم يكونوا عارفين بأن الله بهم، ووجدوا آباءهم مشركين وهم ذرية من بعدهم ... قالوا: نحن معذرون، وآبائنا هم الذين أشركوا ونحن كنا ذرية لهم بعدهم، اتبعناهم بموجب الطبيعة المعتادة، ولم يكن عندنا ما يبين خطأهم.

فإذا كان في فطرتهم ما شهدوا به من أن الله وحده هو ربهم، كان معهم ما يبين بطلان هذا الشرك، وهو التوحيد الذي شهدوا به على أنفسهم، فإذا احتجوا بالعادة الطبيعية من اتباع الآباء كانت الحجة عليهم الفطرة الطبيعية العقلية السابقة لهذه العادة الأبوية⁽⁶⁸⁾.

ثانياً:

ما جاء في جواب الرسل للكفار لما قالوا لهم: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: 9-10].

وقد ذكر الحافظ ابن كثير أن قول الرسل: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ يحتمل أمرين:

الأول: أفي وجوده شك؟

الثاني: أفي تفردده باستحقاق العبادة دون غيره شك؟⁽⁶⁹⁾

ورغم أن السياق القرآني يدل على الثاني -لأن الشك متوجه فيه لمضمون دعوة الرسل، ومعلوم أن مضمون دعوتهم توحيد العبادة- إلا أن اللفظ يتناول الشك في الله تعالى من كل وجه، بما في ذلك الشك في وجوده، والعبرة بعموم اللفظ كما هو معروف⁽⁷⁰⁾.

فيكون الرسل قد احتجوا على الكفار بحجتين:

الأولى: الفطرة، فإن قولهم: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾: استفهام تقرير مفاده النفي⁽⁷¹⁾، أي أن الله تعالى فوق الشك، وأن الشك في إلهيته مما تنكره الفطرة، وهذه الحجة داخلية، نابعة من نفس الإنسان.

والثانية: العقل، وذلك في قولهم: ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، فإن هذا استدلال بالخلق على الخالق، وهذه الحجة خارجية، مأخوذة من دلالة الأثر على المؤثر.

رابعاً:

ما ورد من ذكر استيقاظ الفطرة عند الشدائد، وظهور أثرها، وبروز مقتضاها على النفوس، من اللجوء بالدعاء إلى الله تعالى، والتوجه إليه دون غيره بالاستغاثة، فهي تُقبل عليه إقبال العارف بمن يملك نجاته، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ [الزمر: 8]، وما في معناها من الآيات⁽⁷²⁾ التي تنبه إلى عودة الناس عند الشدائد إلى مقتضى الفطرة التي فُطروا عليها، وهذا من أعظم الشواهد الحسية على وجود المعرفة الفطرية واستقرارها في النفس.

خامساً:

استفهامات التقرير بالربوبية، نحو قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِقَوْمٍ يَعْدِلُونَ﴾ ﴿٦٥﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَادًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ أَمَّنْ يُخِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِقَلِيلٍ مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بُثْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَوَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَوَلَيْسَ اللَّهُ قُلُّ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٦٩﴾ [الزمر: 60-64].

فهذه الآيات وما شابهها تتضمن تقريراً للناس بأمر تعرفه فطرهم، وهو ما غرسه الله فيها من معرفته⁽⁷³⁾.

سادساً:

وقد دلَّت السنة النبوية على ما دلَّ عليه القرآن، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تُنْتِج البهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء))، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ إِلَهِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ الآية⁽⁷⁴⁾.

وروى مسلم بسنده عن عياض بن حمار أن رسول الله ﷺ قال - فيما يرويه عن ربه أنه قال -: ((وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً))⁽⁷⁵⁾.

فإن قيل: ألا يلزم من استقرار معرفة الله تعالى في الفطرة عدم وقوع إنكار الخالق؟ والحاصل أنه واقع بالفعل، فكيف اجتمع إنكاره مع كونه معروفاً بالفطرة؟

كما قد يقال أيضاً: إذا كانت معرفة الخالق والإقرار به ثابتاً في كل الفطر، فكيف ينكر ذلك كثير من النظائر، والأصوليين، المشتغلين بإقامة الأدلة العقلية على المطالب الإلهية؟

والواقع أن الاعتراض بمثل هذا نابع عن فهم قاصر لمعنى كون الإنسان مفطوراً على الإسلام، ومخلوقاً على الحنيفية، إذ ليس المراد بهذا ما توهمه هذا المعترض، من أن الإنسان حين خرج من بطن أمه يعلم هذا الدين ويطلبه فعلاً، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً﴾ [النحل: 78]، وإنما المراد: أن فطرته مقتضية موجبة لدين الإسلام، بمعنى أن نفس الفطرة تستلزم الإقرار بالخالق ومحبته والإخلاص له، وذلك يحصل شيئاً بعد شيء بحسب كمال الفطرة، إذا سلمت من المعارض⁽⁷⁶⁾.

فمن أنكر الصانع إنما أنكره لفساد فطرته بطرائق ما، حال بينها وبين مقتضاها، فجاء التصريح في القرآن بأن الكفار في قرارة أنفسهم يعرفون الحق، وإن لم يذعنوا له، كما قال تعالى في شأن فرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الإسراء: 102]، وقال في أهل النار: ﴿بَلْ بَدَأَ هُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الأنعام: 28]، وقال عن كفار قريش: ﴿فَلَيْسَ لَهُمْ يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاسَتْ إِلَهُ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: 33].

بل إن نفس كلمة "كفر" مأخوذة من السترو والتغطية، وهذا أصل معناها في اللغة⁽⁷⁷⁾، وأطلقت على الكافر؛ لأنه يسترو ويغطي مقتضيات فطرته بحُجُب الشهوات والشهوات، فإذا زالت هذه الحجب بالحجج والبيانات ظهرت مقتضيات الفطرة، كما حصل لسحرة فرعون، حيث قالوا: ﴿لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنْ بَلِّئَتٍ وَأَلَّذِي فَطَرَنَا﴾ [طه: 72]، فكان أسلوب القرآن في الاستدلال بالخلق على الخالق كثيراً ما يأتي في صورة التذكير، لا في صورة إنشاء معرفة جديدة لم تكن مغروزة في النفس، وهذا هو شأن المعارف الأولية.

أما إنكار بعض النظائر، أو كثير منهم لدلالة الفطرة، فإن أول من عُرف به في الإسلام هم أهل الكلام، الذي اتفق السلف على ذمه وتضليل أهله، ومع ذلك فإن إنكارهم لها لا يعني أبداً انتفاءها لديهم؛ فإن الإنسان قد يقوم بنفسه من العلوم والإرادات وغيرها من الصفات ما لا يعلم أنه قائم بنفسه، وقيام الصفة بالنفس غير شعور صاحبها بأنها قامت به، كما أن وجود الشيء في الإنسان غير علم الإنسان به، ومثال ذلك: صفات بدنه؛ فإن منها ما لا يراه مطلقاً، ومنها ما لا يراه إلا إذا تعمد، ومنها ما لا يراه لمانع في بصره، فكذا صفات نفسه⁽⁷⁸⁾.

ويذكر ابن تيمية رحمه الله أن مما يبين ذلك أن الأفعال الاختيارية لا تُتصوّر إلا بإرادة تقوم بالفاعل، ويمتنع أن يفعلها وهو غير ناولها مريد، كالصلاة والصيام والحج والوضوء، ومع ذلك نجد كثيراً من العلماء، فضلاً عن العامة، يستدعون النية بألفاظ يتكلفونها، ويشكون في وجودها مرة بعد مرة، حتى يخرجوا إلى ضرب من الوسوسة يشبه الجنون، وكذلك حب الله تعالى في قلب كل مؤمن، لا يندفع ذلك حتى يزول الإيمان بالكلية، ومع هذا فكثير من أهل الكلام أنكروا محبة الله، وقالوا: يمتنع أن يكون مُحِبّاً، أو محبوباً، وجعلوا هذا من أصول الدين، فكذلك أنكروها، وقالوا: لا تحصل إلا بالنظر، كما قالوا في المحبة، ثم قد يكون ذلك الإنكار سبباً لامتناع معرفة ذلك في نفوسهم؛ فإن الفطرة قد تفسد وتزول، كما أنها قد تكون موجودة ولا ترى ⁽⁷⁹⁾.

وقد اعتذر بعض العلماء عن المتكلمين في موقفهم هذا من الفطرة: بأنهم إنما سلكوا طريق النظر مبالغة في تقرير الربوبية، وقطعاً لأطماع الملاحدة ⁽⁸⁰⁾.

وظاهر أن هذا الاعتذار إنما هو في حق من أقرّ منهم بكفاية المعرفة الفطرية، أما من أنكر كفايتها فلا يصلح هذا الاعتذار له.

والمتكلمون مع تعويلهم التام على النظر العقلي في إثبات الربوبية لم يستطيعوا تجاهل شهادة الفطرة بها كلية، فتجد في كلام بعض أئمتهم من الاعتراف بها وتقرير حجيتها ما يخالف موقفهم العام منها.

فهذا الراغب الأصفهاني يقول: «معرفة الله تعالى العامية -أي الإجمالية- مركوزة في النفس، وهي معرفة كل أحد أنه مفعول، وأن له فاعلاً فعله، ونقله من الأحوال المختلفة» ⁽⁸¹⁾.

وهذا الشهرستاني يصرح بشهادة الفطرة على وجود الله تعالى، ويفضل دلالتها على دلالة الحدوث والإمكان، فيقول:

«ما شهد به الحدوث، أو دلّ عليه الإمكان بعد تقديم المقدمات، دون ما شهدت به الفطرة الإنسانية من احتياج في ذاته إلى مدبر هو منتهى الحاجات، فيُربغ إليه ولا يرغب عنه، ويُفرغ إليه في الشدايد والمهمات؛ فإن احتياج نفسه أوضح له من احتياج الممكن الخارج إلى الواجب، والحادث إلى المحدث» ⁽⁸²⁾.

وهذا الفخر الرازي -أكثر المتكلمين إغراقاً في المعقولات- يذكر في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ وجوه دلالة الفطرة على وجود الله تعالى، فيذكر لطمة الصبي، وما قال بعض العقلاء، من أنها تدلّ على وجود الصانع؛ لأن الصبي يصيح سائلاً عمن ضربه، فدلّ على أنه مفطور على أن كل حادث لا بدّ له من محدث، فإذا شهدت الفطرة بهذا فشهادتها بافتقار جميع الحوادث إلى الفاعل أولى.

ثم ذكر دلالة هذه اللطمة على التكليف ووجوب الجزاء ووجود الرسول.

وذكر ثانياً شهادة الفطرة باستحالة حدوث دار منقوشة متقنة البناء محكمة التركيب، إلا بوجود نقاش عالم، وبأن حكيم، فمن باب أولى أن تشهد الفطرة بافتقار العالم إلى الفاعل المختار الحكيم، ثم ذكر ظهور مقتضى الفطرة عند الشدائد، وغير ذلك مما جعله وجوهاً لشهادة الفطرة بوجود الله تعالى⁽⁸³⁾.

بل وهذا الفيلسوف ابن رشد يقول بعد أن قرر دليلي الاختراع والعناية من القرآن على وجود الله تعالى: «فهذه الطريق هي الصراط المستقيم، التي دعا الله الناس منها إلى معرفة وجوده، ونههم عليه بما جعل في فطرتهم من إدراك هذا المعنى، وإلى هذه الفطرة الأولى المغروزة في طباع البشر الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾»⁽⁸⁴⁾.

وقد نقل القاسمي عن القزويني أنه أقرب بالمعرفة الفطرية، وأن أهل الكلام يعلمون أن شهادة الفطرة أقرب إلى الخلق، وأسرع تعقلاً من دلالة الإمكان والحدوث⁽⁸⁵⁾.

أسباب تغير الفطرة

الفطرة على الحق لا يمكن تبديلها، ولكن يمكن تغييرها بأسباب تطرأ على الخلقة حتى تعوقها أو تمنعها من الإذعان لما تعرفه من الحق، وهي كثيرة أهمها ثلاثة أسباب:

1- الغفلة والنسيان: وقد دلت النصوص على أن الغفلة والنسيان من أهل ما يطرأ على الفطرة حتى يترك العبد مقتضى الميثاق الأول والآخر.

2- التربية على العقائد الباطلة وتقليد الأسلاف في الشرك والضلال: وقد حكى الله عن المشركين أن يتبعون آثار آبائهم، وأنهم متمسكون بدينهم وعاداتهم بلا حجة ولا برهان.

3- اجتيال الشياطين: روى الإمام مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عن ربه عز وجل: (إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً)⁽⁸⁶⁾.

والاجتيال هو الذهاب بالشيء وسوقه وإزالته عن مكانه وتحويله عن قصده⁽⁸⁷⁾.

فالشيطان يجول بالعبد في مسالك الضلالة

وتؤكد الدراسات الحديثة هذه المعرفة الفطرية، فقد توصل الباحثون الغربيون إلى وجود عقيدة الخالق العظيم عند سائر الأمم والشعوب في القديم والحديث، وأن ثنية تلك الأمم ما هي إلا أمر طارئ على تلك العقيدة.

فقد وجد هؤلاء الباحثون عقيدة الإقرار بخالق عظيم موجودة عند القبائل الهمجية في أستراليا وأفريقيا وأمريكا، ووجدوها عند الأجناس الآرية القديمة وعند الساميين قبل الإسلام، وعند قبائل البوشمان في جنوب أفريقيا، وعند الأقزام المنتشرين في أواسط أفريقيا الاستوائية وهم على درجة كبيرة من التخلف والهمجية ويعتقدون بوجود كائن أعلا يدعى "كانج" بمعنى السيد، ويسمى أيضاً "كوبة كاكاج تنج" بمعنى حامي الموجودات وهو عندهم يسكن السماء ولا يرى وقادر على كل شيء، وعند قبائل "الهوتنتوت" الإفريقية ويسمونه "أبا الآباء"، وعند قبائل البانتو والهنود الحمر في الشمال الغربي للمحيط الهادي وفي أمريكا الجنوبية، وقد توصل هؤلاء الباحثون إلى أن فكرة -الإله الأعظم- توجد عند جميع الشعوب الذين يعدون من أقدم الأجناس الإنسانية⁽⁸⁸⁾.

ويقول ماكس مولر في كتابه "أصل الدين وارتقاؤه" من خلال «النصوص الدينية السنسكريتية، وهي أبعد الديانات عهداً وأقدمها تاريخاً بأن الإنسان أول ما عبد عبد الخالق -جل وعلا- على صفته غير المحدودة، وأما هذه الأوثان والأصنام فليست إلا بنات الخيال استدعتها محبة الإنسان للمس كل ما يشعر به في نفسه»⁽⁸⁹⁾.

لقد خلق الله النفس البشرية على مقتضى هذه الضرورة النفسية، بحيث لا يمكن أن تطمئن إلا بمعرفة الله ومحبهه والتقرب إليه، وهذا دليل من واقع النفس البشرية يمكن لكل إنسان أن يدركه، ولهذا كان الأصل في كل إنسان وفي كل مجتمع هو السعي في طلب الطمأنينة الدينية تحت أي ظرف وفي كل زمان ومكان.

وقد جاء في معجم لاروس للقرن العشرين: « إن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية، حتى أشدها همجية وأقربها إلى الحياة الحيوانية، وإن الاهتمام بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة هي إحدى النزعات العالمية الخالدة »⁽⁹⁰⁾.

وتطالعنا حديثاً بعض الأبحاث الطبية التجريبية على مخ الإنسان لتؤكد وجود مناطق في المخ هي بمثابة مراكز للإيمان، فقبل الثورة في مجال العلوم التجريبية وتوفر الأدوات اللازمة حديثاً لم يكن الإنسان على معرفة بآلية الوظائف العقلية العليا التي تميز الإنسان وتحديد مواقعها بالمخ، وشيئاً فشيئاً اكتشفت المناطق المتعلقة بالحواس والكلام والحركة، وبدأت تتضح معالم المنظومة العاطفية ومنظومة الأنشطة اللاإرادية والأساس الكيميائي والكهربي للنشاط العصبي، وأصبح في الإمكان تسجيل كهربية المخ من الخارج لتمييز مختلف الأنشطة الذهنية والتصوير الإشعاعي لتراكيبه، وعرفت بعض الفوارق التشريحية والوظيفية مع الحيوان، وأمكن تصور آلية بعض الوظائف العليا كالذكر والتعلم، واليوم ونحن في مستهل قرن جديد يبشر بغزو المجال الفكري واكتشاف إمكانات المخ في التوجيه الفطري تفاجئنا تلك الأبحاث العلمية باكتشاف يجعل الإيمان بالله تعالى وعبادته نزوعاً فطرياً وملكاً مغروسة بالمخ لها آلياتها ومراكزها، وإذا لم يحسن الإنسان توظيفها فقد أهم ما يميزه عن الحيوان وتعرض لفقدان التوازن النفسي والبدني.

وخلاصة الأبحاث التي أجريت على المخ بتقنية جديدة لأشعة إكس ونشرت عام 2001م، وقام بها فريق علمي على رأس البروفيسور أندرو نيوبيرج⁽⁹¹⁾ أستاذ علم الأشعة Radiology بكلية الطب بجامعة بنسلفانيا في فلادلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية هي أن "الإيمان بالله مقصد مصمم داخلياً Built-in Design في المخ"، وهذا لا يمكن لأحد التخلص منه إلا تعامياً عن الفطرة السوية التي جعلت الإنسان يتزعج للتدين على طول التاريخ وتعطياً لقدرات هائلة وإمكانات بالغة التعقيد والتطور تمكنه من العلم بالله بالاستقراء والتفكير والتحليل والاستنتاج.

وكما أعلن البروفيسور نيوبيرج بأنه يمكن وصف الإنسان بأنه "مجبول على التدين -Hard wired for religion" وأن "التجربة العملية لا يمكنها أن تخبرنا بطريقة مباشرة عن ذات الله ولكنها تخبرنا كيف أعد الله الإنسان لكي يعرفه"، وهي تخبرنا أن "عبادة الله ووظيفة الإيمان به مطلب طبيعي يماثل الطعام والشراب"، و"المخ البشري ليس معداً تشريحياً ووظيفياً فحسب للإيمان بالله وعبادته وإنما هو أيضاً مهياً عند قيامه بوظيفة العبادة لحفظ سلامة النفس والبدن بتوجيه العمليات الحيوية خلال منظومة عصبية وهورمونية متشابكة".

يقول البروفيسور بليتريني من جامعة بيزا في إيطاليا: «إن كل شيء نفعله أو نستشعره من نشاط بسيط كحركة إصبع إلى أعماق الانفعالات العاطفية الخبيثة بالنفس أو البادية مثل الغضب والحب يرسم خريطة مميزة المعالم للمراكز المتأثرة بالمخ ويصاحب كل شعور نموذج محدد يمكن تسجيله وتحليله كالتحليل الطبية العضوية تماماً»، وهذا المجال الجديد لاستطلاع دخيلة الإنسان من عواطف ومشاعر وأفكار ومدى تأثيره بالاعتقاد الديني يدخل فيه الباحثون اليوم بحذر حريصين على المنهج العلمي في البحث والتحليل كبقية مجالات العلوم التجريبية.

ويقول البروفيسور "مايكل ماكلوف" من جامعة دالاس بالولايات المتحدة الأمريكية: «يتأثر الوجدان النفسي الروحي بالعالم الخارجي ويؤثر في الجسد العضوي ويمثل الإيمان والعبادات صمام أمان لتلك التأثيرات الطبيعية»، وقد أفضت دراسته إلى أن الطبيعة البشرية مصممة بحيث تحفظها العبادات في توازن تام وتقيها الاضطراب، وفي تحليل شمل 42 دراسة ميدانية واسعة وجد بروفيسور ماكلوف أن «معدل الوفيات يقل بالاستغراق في الصلاة وبقية العبادات، وهذا التأثير مستقل عن عوامل أخرى مضرّة بالصحة كتناول الخمر والتدخين»، ولم يفث البروفيسور نيوبيرج أن يعلق على تلك النتيجة بقوله: «نحن لا ندري حتى الآن على وجه اليقين كيف يؤدي الإيمان العميق والاستغراق في العبادة إلى الحفاظ على سلامة النفس والبدن ومكافحة المرض وتأخير الموت، ولكن معرفتنا لآليات عمل الجسم وخاصة المخ تؤهلنا لتلمس آفاق جديدة من البحث لنثبت بحياد يوما ما وجود تأثيرات عضوية للإيمان والعبادة، ونذكر منها اليوم الحفاظ على معدل طبيعي لضربات القلب وضغط الدم وتغير الهرمونات كمّاً ونوعاً والميل العصبي لتحقيق حالة من الهدوء نتيجة الخشوع.

وإذا كان البروفيسور نيويرج يقرر بأنه لا يدري كيف يؤدي الإيمان العميق إلى الحفاظ على سلامة النفس والبدن.

فإننا نحن أهل الإسلام ندرك إدراكًا يقينياً السبيل إلى الطمأنينة والاستقرار النفسي والبدني، إذا لم تتبدل فطرتنا وسرنا وفق ما أمرنا به خالقنا وفاطرنا ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28].

وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَادِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: 1-2].

وفي الحديث يقول النبي ﷺ: ((يا بلال أرحنا بالصلاة))⁽⁹²⁾.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث أبين وجه الإعجاز وأهم ما توصلت إليه من نتائج سائل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً صواباً.

فأقول مستعيناً بالله:

لقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة التي أجريت على فئات مختلفة من الناس في مناطق متعددة وبواسطة علماء من جامعات أكاديمية مشهورة: (أن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية، حتى أشدها همجية وأقربها إلى الحياة الحيوانية، وأن الاهتمام بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة هي إحدى النزعات العالمية الخالدة).

وتلك النتائج العلمية الباهرة تتوافق مع ما جاء به الإسلام، وقرره علماء الإسلام قبل ألف وأربعمائة سنة!!

وفي ذلك دليل قاطع على صدق القرآن ومبلغه الذي هو رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

كما أنه دليل صريح على صحة عقيدة الإسلام، وانسجام ذلك مع طبيعة الإنسان وتكوينه الفطري.

وأنه حينما ينسجم عقدياً مع تلك الفترة المركوزة فإن آثار ذلك لا ينعكس على مستقبله الأخروي فحسب، بل إن ذلك ينفعه في دنياه من الناحية النفسية والصحية.

وصدق الله القائل: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، والقائل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾، والقائل: ﴿فِطَرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

والآن أجمال في هذه الخاتمة أهم ما توصلت إليه من نتائج:

- (1) أن الفطرة في اللغة لها معانٍ عديدة، كالشق والخلقة والابتداء والاختراع وغيرها.
- (2) أن العلماء اختلفوا في بيان معنى الفطرة إلى عدة أقوال، بيد أن الذي عليه أكثر السلف وجماهير العلماء هو تفسيرها بالإسلام.
- (3) أنه ليس المراد بالقول أن المولود يولد على فطرة الإسلام: أنه يولد وهو يعلم هذا الدين ويريده، ولكن المراد أن فطرة المولود تستلزم الإقرار بالخالق ومحبته، وموجبات الفطرة ومقتضياتها تحصل شيئاً بعد شيء بحسب كمال الفطرة إذا سلمت من المعارض.
- (4) أن في نصوص الكتاب والسنة غنية بالأدلة العقلية اليقينية على أصول الاعتقاد، خلافاً لمن زعم أنها مجرد أدلة سمعية تحتاج إلى براهين خارجية.
- (5) أن معرفة الله تعالى فطرية خلافاً للمتكلمين الذين يقررون بأنها نظرية.
- (6) أن الأدلة القرآنية قد جلت المراد بحقيقة الفطرة موضحة لمعناها وجاءت السنة النبوية مكملتها لهذا المعنى مؤكدة عليه.
- (7) إثبات الفطرة وتأصيلها فيه رد على العلمانيين الذين يريدون فصل الدين عن شتى مجالات الحياة، ذلك أن هذه الفطرة السليمة تجمع بين الأخذ بأسباب الحضارة دون إخلال بالقيم والمقاصد النبيلة.
- (8) توجد أبحاث تجريبية يجريها علماء الغرب على المخ البشري تقرر أن الإيمان له مواضعه في المخ، وهذه الدراسات لا تزال نظريات ولعلّه يظهر لنا بعض ما كنا نجهله عن "المخ البشري" ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾. والدلائل النقلية والعقلية والحسية تؤكد لنا فطرية المعرفة من قبل هذه الدراسات التجريبية الطبية.

وأوصي في ختام البحث:

- (1) الاعتماد على المنهج القرآني في ترسيخ الإيمان واليقين.
- (2) إبراز الأدلة القرآنية في مخاطبة العقول، فإنه ما من أصل من أصول الاعتقاد يمكن الاستدلال عليه عقلاً، إلا وفي النقل التنبيه على ذلك، علمه من علمه وجهله من جهله.
- (3) تنقية المناهج الدراسية مما علق بها من مسائل ودلائل المتكلمين والفلاسفة التي عطلت الفكر الإسلامي وأخرت المسلمين وأشغلتهم بالمسائل التي لا ينبغي عليها علم نافع وعمل صالح.
- (4) المزيد من الدراسات المؤصلة التي تبرز عظمة وإعجاز القرآن التشريعي في مختلف المجالات، والملاحظ هو انشغال كثير من الباحثين بالإعجاز العلمي، وعدم إعطاء هذا المجال حقه الكافي من الدراسات.
- (5) دراسة "آية الميثاق" دراسة موضوعية مفصلة تجمع أقوال المفسرين فيها، والروايات الحديثية وتميز صحيحها من ضعيفها.

والله تعالى أعلم وأحكم والهادي إلى سواء السبيل

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

قائمة المصادر والمراجع:

- (1) أحكام أهل الذمة: ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر الدمشقي (ت751هـ/1350م)، تحقيق: صبيح الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1961م.
- (2) الأحكام في أصول الأحكام: ابن حزم علي بن أحمد الأندلسي (ت456هـ/1064م)، تقديم: إحسان عباس، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1400هـ/1980م.
- (3) أخذ الميثاق في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾: لعبد العزيز بن عبد الرحمن العثيمين، أضواء السلف، الرياض، ط1، 1419هـ.
- (4) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث: البيهقي أحمد بن الحسين (ت458هـ/1065م)، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1401هـ.
- (5) تأويل مختلف الحديث: ابن قتيبة عبد الله بن مسلم الدينوري (ت276هـ/889م)، المكتب الإسلامي ومؤسسة الإشراف، بيروت، ط2، 1419هـ/1999م.

- (6) التحرير والتنوير: لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، (د.ط.)، 1984م.
- (7) تفسير القرآن العظيم: للحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: محمد إبراهيم البنا وآخرون، دار الشعب، القاهرة، نسخة دار ابن حزم، تحقيق محمد البنا، ط1، 1419هـ.
- (8) تفسير القرآن: السمعاني منصور بن محمد بن عبد الجبار (ت489هـ/1096م)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ط1، 1418هـ/1997م.
- (9) التفسير الكبير: لفخر الدين أبي بكر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3.
- (10) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي (المتوفى: 463هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، (د.ط.)، 1387هـ.
- (11) تهذيب اللغة: الأزهري محمد بن أحمد الهروي (ت370هـ/980م)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.
- (12) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: السعدي عبد الرحمن بن ناصر (ت1376هـ/1955م)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420هـ.
- (13) جامع البيان في تفسير القرآن: الطبري محمد بن جرير (ت310هـ/922م)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420هـ/2000م.
- (14) الجامع الصحيح المعروف بصحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري (ت261هـ/874م)، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992م.
- (15) الجامع الصحيح: البخاري محمد بن إسماعيل الجعفي (ت256هـ/869م)، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1407هـ/1987م.
- (16) الجامع لأحكام القرآن (المعروف بتفسير القرطبي): القرطبي محمد بن أحمد الأنصاري (ت671هـ/1272م)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم لكتب، الرياض، ط1، 1423هـ/2003م.
- (17) درء تعارض العقل والنقل: لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1401هـ.
- (18) دلائل التوحيد: للعلامة محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، بيروت، ط1، 1412هـ.
- (19) الدين: بحوث مهمة لدراسة تاريخ الأديان، محمد عبدالله دراز، دار القلم، الكويت، 1410هـ.
- (20) الذريعة إلى مكارم الشريعة: الراغب الأصفهاني الحسين بن محمد بن المفضل (ت502هـ/1108م)، تحقيق: أبو اليزيد أبو زيد العجيجي، دار السلام، القاهرة، (د.ط.)، 2007م.
- (21) الرسالة: الشافعي محمد بن إدريس المظلي (ت204هـ/819م)، أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، القاهرة، ط1، 1358هـ/1940م.

- (22) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي محمود بن عبد الله الحسيني (ت1270هـ/1853م)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.
- (23) سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، طبعة منقحة، 1415هـ.
- (24) شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز محمد بن عليّ الحنفي (ت792هـ/1389م)، تحقيق: أحمد شاکر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ط1، 1418هـ.
- (25) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: خالد السبع، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1415هـ.
- (26) عقيدة الإمام ابن عبد البر في التوحيد والإيمان الغصن سليمان بن صالح، عرضاً ودراسة، دار العاصمة، الرياض، ط1/1416هـ/1996م.
- (27) العواصم والقواصم في الذبّ عن سنة أبي القاسم ابن الوزير محمد بن إبراهيم القاسمي (ت840هـ/1436م)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1415هـ/1994م.
- (28) غريب الحديث: الهروي أبو عبيد القاسم بن سلام الأزدی (ت224هـ/838م)، تحقيق: حسين محمد شرف، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ط1، 1404هـ/1984م.
- (29) فتاوى: ابن رشد الجد أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي (ت520هـ/1125م)، تحقيق: المختار بن طاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1987م.
- (30) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر أبو الفضل أحمد بن عليّ العسقلاني (ت852هـ/1448م)، دار المعرفة، بيروت، (د.ط)، 1379هـ/1959م.
- (31) فتح البيان في مقاصد القرآن: الفنوجي صدّيق بن حسن خان الهندي (ت1307هـ/1890م)، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، صيدا، (د.ط)، 1992م.
- (32) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: الشوكاني محمد بن عليّ اليماني (ت1250هـ/1834م)، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، 1410هـ/1981م.
- (33) الفطرة ووظائفها في الإسلام، فرج محمد سليمان، جامعة الأزهر، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
- (34) الفطرة: مطهري مرتضى، ترجمة: جعفر صادق الخليلي، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1992م.
- (35) فطرية المعرفة وموقف المتكلمين منها: لأحمد سعد حمدان، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1415هـ.
- (36) كتاب العين، الفراهيدي الخليل بن أحمد الأزدی (ت170هـ/786م)، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د.ط)، (د.ت).
- (37) الكشف: الرمخشري محمود بن عمر الخوارزمي (ت538هـ/1143م)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، مكتبة العبيكان، الرياض، (د.ط)، 1998م/1418هـ.

- (38) كل مولود يولد على الفطرة: لتقي الدين أبي الحسن السبكي، تحقيق: محمد السيد أبو عمة، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط1، 1410هـ.
- (39) لسان العرب: ابن منظور محمد بن مكرم الإفريقي (ت711هـ/1311م)، دار صادر، بيروت، ط1، 1967م.
- (40) مجموع الفتاوى: ابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم الحراني (ت728هـ/1328م)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، (د.ط.)، 1416هـ/1995م.
- (41) مجموعة الرسائل الكبرى: ابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم الحراني (ت728هـ/1328م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1408هـ/1988م.
- (42) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية عبد الحق بن غالب الأندلسي (ت542هـ/1147م)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ.
- (43) المسند: ابن حنبل أحمد بن حنبل الشيباني (ت241هـ/855م)، تحقيق وتخریج: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة قرطبة، القاهرة، (د.ط.)، (د.ت.).
- (44) معاني القرآن الكريم: النحاس أحمد بن محمد المرادي (ت338هـ/949م)، تحقيق: محمد عليّ الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1409هـ.
- (45) المعجم الكبير: الطبراني سليمان بن أحمد الشامي (ت360هـ/970م)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، ط2، 1404هـ/1984م.
- (46) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس أحمد بن فارس الرازي (ت395هـ/1004م)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، (د.ط.)، 1399هـ/1979م.
- (47) المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها: عبدالله محمد القرني، دارعالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 1419هـ.
- (48) المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني الحسين بن محمد بن المفضل (ت502هـ/1108م)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم والدار الشامية، دمشق، بيروت، ط1، 1412هـ.
- (49) مناهج الأدلة في عقائد الملة: ابن رشد الجد أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي (ت520هـ/1125م)، تحقيق: محمود قاسم، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1964م.
- (50) نهاية الإقدام في علم الكلام: الشهرستاني محمد بن عبد الكريم (ت548هـ/1153م)، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1425هـ.
- (51) النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير المبارك بن محمد الشيباني (ت606هـ/1209م)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ط.)، 1399هـ/1979م.

المجلات:

- (52) مجلة الأزهر: محمد وجدي، مقال: العالم كله يتلمس دين الفطرة، الجزء (7)، المجلد (9)، ص(434).
- (53) مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية: متولي محمد محمود، مقال: الإسلام فطرة الخلق وشريعة الوجود، جامعة الكويت، مج10، ع27، 1995م.

54) مجلة دعوة الحق: السعيد عيسى عبد الله، مقال: ميثاق الإيمان، السنة 24، العدد 232، 1430هـ/2009م.

مواقع الأنترنت:

55) http://dir.salon.com/books/feature/2001/02/01/god_part/index.html

56) http://www.thenarrow.org/archives/2005/01/report_children.html

57) <http://www.andrewnewberg.com/default.asp>

الهوامش:

- (1) مجموع الفتاوى: ابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم الحراني (ت728هـ/1328م)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، (د.ط)، 1416هـ/1995م: (348/16).
- (2) انظر: درء تعارض العقل والنقل: لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1401هـ: (458/8)، وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: خالد السبع، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1415هـ: ص(500).
- (3) انظر: مادة (ف ط ر) في كتاب العين، الفراهيدي الخليل بن أحمد الأزدي (ت170هـ/786م)، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د.ط)، (د.ت): (417/7-418)، تهذيب اللغة: الأزهري محمد بن أحمد الهروي (ت370هـ/980م)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م: (325-330)، لسان العرب: ابن منظور محمد بن مكرم الإفريقي (ت711هـ/1311م)، دار صادر، بيروت، ط1، 1967م: (55-59).
- (4) انظر: المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني الحسين بن محمد بن المفضل (ت502هـ/1108م)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم والدار الشامية، دمشق، بيروت، ط1، 1412هـ: ص(575)، النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير المبارك بن محمد الشيباني (ت606هـ/1209م)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ط)، 1399هـ/1979م: (457/3).
- (5) انظر: المفردات في غريب القرآن للأصبهاني: ص(575).
- (6) الفطرة: مطهري مرتضى، ترجمة: جعفر صادق الخليلي، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1992م: ص(5).
- (7) انظر: لسان العرب (313/8).
- (8) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي (متوفى: 463هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، 1387هـ: (68-69)، عقيدة الإمام ابن عبد البر في التوحيد والإيمان الغصن

- سليمان بن صالح، عرضاً ودراسة، دار العاصمة، الرياض، ط1/ 1416هـ/1996م: ص(426-447).
- (9) النهاية في غريب الحديث والأثر: (3/457).
- (10) كل مولود يولد على الفطرة: لنقي الدين أبي الحسن السبكي، تحقيق: محمد السيد أبو عمة، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط1، 1410هـ: ص(16).
- (11) انظر: التمهيد لابن عبد البر: (78/18).
- (12) انظر: غريب الحديث: الهروي أبو عبيد القاسم بن سلام الأزدي (ت224هـ/838م)، تحقيق: حسين محمد شرف، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ط1، 1404هـ، 1984م: (22/2).
- (13) انظر: شفاء العليل لابن القيم: ص(499)، وقد ذكر أن للإمام أحمد ثلاث روايات في الفطرة، لكن هذا القول قد تركه الإمام، انظر: درء التعارض: (8/389)، التمهيد لابن عبد البر: (18/76).
- (14) انظر: التمهيد لابن عبد البر: (18/83)، تهذيب اللغة للأزهري: (13/328).
- (15) انظر: التمهيد لابن عبد البر: (18/90-91)، تأويل مختلف الحديث: ابن قتيبة عبد الله بن مسلم الدينوري (ت276هـ/889م)، المكتب الاسلامي ومؤسسة الإشراف، بيروت، 1419هـ/1999م: ص(95).
- (16) انظر: التمهيد لابن عبد البر: (18/90-94)، وميثاق الإيمان: السعيد عيسى عبد الله، مجلة دعوة الحق، السنة 24، العدد 232، 1430هـ/2009م: ص (39)..
- (17) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن: الطبري محمد بن جرير (ت310هـ/922م)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420هـ/2000م: (10/183-184)، الجامع الصحيح: البخاري محمد بن إسماعيل الجعفي (ت256هـ/869م)، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1407هـ/1987م، كتاب الجنائز: (1/454)، والدرء لابن تيمية: (8/367-377)، والتمهيد لابن عبد البر: (18/72).
- (18) انظر: صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه: (1/454)، وكتاب التفسير/ سورة الروم، باب لا تبدل لخلق الله: (4/1792)، تفسير ابن جرير: (10/183-184)، والدرء لابن تيمية: (8/367-377).
- (19) انظر: الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم علي بن أحمد الأندلسي (ت456هـ/1064م)، تقديم: إحسان عباس، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1400هـ/1980م: (5/104).
- (20) انظر: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث: البيهقي أحمد بن الحسين (ت458هـ/1065م)، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1401هـ: ص(107).
- (21) انظر: مؤلفاته مثل: درء التعارض: (8/359-468)، ومجموع الفتاوى: (4/243-249)، مجموعة الرسائل الكبرى: ابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم الحراني (ت728هـ/1328م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1408هـ/1988م: (2/333-349) وغيرها.
- (22) انظر: مؤلفاته: كشف العليل: ص(486-520)، أحكام أهل الذمة: ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر الدمشقي (ت751هـ/1350م)، تحقيق: صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1961م: (2/523-609) وغيرها.

- (23) انظر: تفسير القرآن العظيم: للحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: محمد إبراهيم البنا وآخرون، دار الشعب، القاهرة، نسخة دار ابن حزم، تحقيق محمد البنا، ط1، 1419هـ.: (320/6-323).
- (24) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت852هـ/1448م)، دار المعرفة، بيروت، (د.ط)، 1379هـ/1959م: (294/3).
- (25) انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: الشوكاني محمد بن علي اليمني (ت1250هـ/1834م)، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، 1410هـ/1981م: (224/4).
- (26) التمهيد لابن عبد البر (77/18).
- (27) التمهيد لابن عبد البر (72/18).
- (28) فتح الباري (250/3).
- (29) فتح الباري (248/3).
- (30) انظر: جامع البيان للطبري (40/21)، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي ص (88)، درء تعارض العقل والنقل (371/8)، أحكام أهل الذمة (531/2)، تفسير ابن كثير (432/3)، شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز محمد بن علي الحنفي (ت792هـ/1389م)، تحقيق: أحمد شاكور، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ط1، 1418هـ: ص (83)، فتح الباري (248/3)، فتح القدير للشوكاني (224/4).
- (31) انظر: درء التعارض: (383/8-384، 460-461).
- (32) أحكام أهل الذمة (607/2)، وانظر: درء تعارض العقل والنقل (383/8).
- (33) شفاء العليل لابن القيم ص (497)، وميثاق الإيمان للسعيد: ص (52-53).
- (34) تفسير ابن كثير: (320/6).
- (35) انظر: التحرير والتتوير لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1984م: (89/21).
- (36) المصدر السابق: (89/21).
- (37) المسند: ابن حنبل أحمد بن حنبل الشيباني (ت241هـ/855م)، تحقيق وتخريج: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة قرطبة، القاهرة، (د.ط)، (د.ت) برقم (22345، 24899، 26004)، المعجم الكبير: الطبراني سليمان بن أحمد الشامي (ت360هـ/970م)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، ط2، 1404هـ/1984م برقم (7715، 7868، 7883).
- (38) انظر: الدرء لابن تيمية: (372/8)، وفتح الباري لابن حجر: (293/3)، الجامع لأحكام القرآن (المعروف بتفسير القرطبي): القرطبي محمد بن أحمد الأنصاري (ت671هـ/1272م)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم لكتب، الرياض، ط1، 1423هـ/2003م: (24/14)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية عبد الحق بن غالب الأندلسي (ت542هـ/1147م)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ: (453/11).
- (39) انظر: تفسير ابن جرير: (121/1).

- (40) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور: (90/21)، والمعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها: عبدالله محمد القرني، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 1419هـ: ص(232-233).
- (41) انظر: التمهيد لابن عبد البر: (72/18)، وعقيدة الإمام ابن عبدالبر في التوحيد والإيمان، للغصن: ص(428).
- (42) انظر: تفسير ابن كثير: (320/6).
- (43) انظر: تفسير ابن جرير: (183/10-184)، وتفسير ابن كثير: (320/6).
- (44) صحيح البخاري، كتاب التفسير/ سورة الروم، باب لا تبديل لخلق الله.
- (45) انظر: تفسير ابن جرير: (184/10)، والإسلام فطرة الخلق وشرعية الوجود: متولي محمد محمود، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، مج10، ع27، 1995م: ص(18).
- (46) المعرفة في الإسلام للقرني: ص(233).
- (47) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (314/7).
- (48) انظر: تفسير القرآن: السمعاني منصور بن محمد بن عبد الجبار (ت489هـ/1096م)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ط1، 1418هـ/1997م: سورة الأعراف: 405.
- (49) انظر للتوسع في تخريج هذه المرويات ونقدها: أخذ الميثاق في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾، لعبد العزيز بن عبد الرحمن العثيم، أضواء السلف، الرياض، ط1، 1419هـ.. فطرية المعرفة وموقف المتكلمين منها: لأحمد سعد حمدان، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1415هـ: ص(34-135).
- (50) انظر: التفسير الكبير لفخر الدين أبي بكر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3: (46/15)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي محمود بن عبد الله الحسيني (ت1270هـ/1853م)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ: (103/9)، فتح البيان في مقاصد القرآن: القنوجي صديق بن حسن خان الهندي (ت1307هـ/1890م)، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، صيدا، 1992م: (70/5)، والتمهيد لابن عبد البر: (72/18)، وشفاء العليل لابن القيم: ص(34-35)، وفطرية المعرفة لحمدان: ص(105-106)، سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، طبعة منقحة، 1415هـ: (159/4).
- (51) أحكام أهل الذمة: (160-159/2).
- (52) فتح البيان للقنوجي: (71/5).
- (53) المحرر الوجيز لابن عطية: (134/6).
- (54) السلسلة الصحيحة للألباني: (162/4).
- (55) انظر: فتاوى: ابن رشد الجد أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي (ت520هـ/1125م)، تحقيق: المختار بن طاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1987م: (661/1).
- (56) انظر: جامع البيان للطبري: (262/10).

- (57) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (383/6).
- (58) انظر: جامع البيان للطبري: (14/6).
- (59) الجامع أحكام القرآن للقرطبي: (169/7). وانظر: معاني القرآن الكريم: النحاس أحمد بن محمد المرادي (ت338هـ/949م)، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1409هـ: (13/3).
- (60) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير محمد بن إبراهيم القاسمي (ت840هـ/1436م)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1415هـ/1994م: (269/7).
- (61) انظر: التمهيد لابن عبد البر: (83/18)، والعواصم والقواصم لابن الوزير: (269/7).
- (62) درء التعارض لابن تيمية: (487/8). وانظر: أحكام أهل الذمة لابن القيم: (527/2)، وتفسير ابن كثير: (506/3)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز: ص(302)، وتفسير ابن سعدي: (170/2).
- (63) التفسير الكبير للرازي: (50/15).
- (64) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (314/4)، وتفسير أبي المظفر السمعاني: ص(410)، تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: السعدي عبد الرحمن بن ناصر (ت1376هـ/1955م)، تحقيق: عبد الرحمن بن مغللا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420هـ: (170/2)، الكشف: الزمخشري محمود بن عمر الخوارزمي (ت538هـ/1143م)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، مكتبة العبيكان، الرياض، 1998م/1418هـ: (177/2)، وروح المعاني للألوسي: (102/9)، ... وغيرها.
- (65) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة: (162-159/4).
- (66) هذه الأجوبة منقولة من: فطرية المعرفة وموقف المتكلمين منها، لشيخنا أ.د/ أحمد سعد حمدان: ص(137-138).
- (67) المعرفة في الإسلام للقرني: ص(236).
- (68) در التعارض، لابن تيمية: (491-488/8).
- (69) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (577/2).
- (70) انظر: الرسالة: الشافعي محمد بن إدريس المطلبي (ت204هـ/819م)، أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، القاهرة، ط1، 1358هـ/1940م: ص(51) فقرة (173) وما بعدها.
- (71) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية: (339/16).
- (72) انظر مثلاً: (الأنعام: 40-41)، و(يونس: 12-22)، و(الإسراء: 67)، و(العنكبوت: 65)، و(الروم: 33)، و(فصلت: 51).
- (73) انظر: دلائل التوحيد للعلامة محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: خالد عبدالرحمن العك، دار النفائس، بيروت، ط1، 1412هـ: ص(25-26).
- (74) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز (456/1) برقم (1292). والجامع الصحيح المعروف بصحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري (ت261هـ/874م): دار الجيل، بيروت، ط1، 1992م، كتاب القدر، باب كل مولود يولد على الفطرة (4/1624) برقم (2658).

- (75) الصحيح، كتاب الجنة ...، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار: (1741/4) برقم (2865).
- (76) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية: (383/8، 384)، وشفاء العليل لابن القيم: ص(479).
- (77) انظر: معجم مقاييس اللغة: ابن فارس أحمد بن فارس الرازي (ت395هـ/1004م)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، 1399هـ/1979م: (191/5).
- (78) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية: (340/16، 341).
- (79) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية: (341-344).
- (80) ذكر هذا القاسمي عن القزويني كما في دلائل التوحيد: ص(25).
- (81) الذريعة إلى مكارم الشريعة: الراغب الأصفهاني الحسين بن محمد بن المفضل (ت502هـ/1108م)، تحقيق: أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام، القاهرة، (د.ط)، 2007م: ص(199).
- (82) نهاية الإقدام في علم الكلام: الشهرستاني محمد بن عبد الكريم (ت548هـ/1153م)، تحقيق: أحمد فريد المزدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1425هـ: ص(125).
- (83) انظر: التفسير الكبير لفخر الدين أبي بكر الرازي: (91-93).
- (84) مناهج الأدلة في عقائد الملة: ابن رشد الجد أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي (ت520هـ/1125م)، تحقيق: محمود قاسم، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1964م: ص(62).
- (85) انظر: دلائل التوحيد: ص(24-25).
- (86) أخرجه مسلم (2865).
- (87) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (524/1)، النهاية في غريب الحديث والأثر (317/1).
- (88) انظر: الدين: بحوث مهمة لدراسة تاريخ الأديان، محمد عبدالله دراز، دار القلم، الكويت، 1410هـ: ص(107-108)، الفطرة ووظائفها في الإسلام، فرج محمد سليمان، جامعة الأزهر، القاهرة، (د.ط)، (د.ت): ص(142-147).
- (89) مجلة الأزهر، الجزء (7)، المجلد (9)، موضوع: العالم كله يتلمس دين الفطرة، لمحمد وجدي: ص(434).
- (90) الدين: لدراز: ص(83).
- (91) انظر موقعه على الانترنت: <http://www.andrewnewberg.com/default.asp>
- ولمزيد من الاطلاع حول هذا الموضوع الذي كُتبت عنه مئات الصفحات على الإنترنت انظر مثلاً:
- http://www.thenarrow.org/archives/2005/01/report_children.html
- http://dir.salon.com/books/feature/2001/02/01/god_part/index.html
- (92) مسند أحمد: (364/5، 371).